2000 0413-00029 l

ربع قرن على ١٣ نيسان.. حروب صغيرة ما زالت بانتظار سلام

«الحروب الصغيرة» كانت سمة «نظام» الحرب الباردة. «بيادق» على رقعة الساحة الدولية، تحرك بخطوات غير منسقة ظاهرياً، لكنها في الحقيقة منتظمة ومتصلة في سياق لعبة شطرنج كبرى، بين لاعبين عملاقين.

كانت «١٣ نيسان» اللبنانية واحدة من هذه الحروب الصغيرة.

جاءت نهاية الحرب الباردة الكبرى، اشبه ببشرى خلاص شعوب كثيرة، كانت قد فوجئت بتقاطع انقساماتها الداخلية مع مصالح آخرين، قريبين وبعيدين، من حالة الإقتتال بين مجموعاتها السياسية والعرقية والدينية والطبقية نادراً.

بشرى الخلاص لم تدم سوى برهة سريعة، ساد خلالها الظن بان عالماً بقطب واحد، هو بالضرورة، عالم مضطر للانسجام في ما بينه، منضبط بـ «مشيئة عليا» لا تناقدها او تشوش عليها مشيئة عليا أخرى.

بسرعة انتبه الجميع ثم ادركوا بالملموس ان النظام العالمي الجديد انما اعاد العالم الى ما قبل الحرب الباردة، الى خطوط التماس المرسومة وفقاً لحدود نظام ما بعد الحرب العالمية الاولى، وهي حدود تناقضات «نواتية»، داخل النسيج المجتمعي، لوحدات كيانية كثيرة.

«الحروب الصغيرة» بؤر توتر، ساخنة حيناً، وحامية جداً احياناً، ميزت خارطة العالم. القليل جداً منها انطفأ، او ربما خمدت ناره، بينما الغالبية ما زالت متفاعلة.

الآتي «عينات» لـ «١٣ نيسان» في المحيطين الاقليمي والدولي ما زالت تتفاعل.

اعداد: هشام شهاب وسوسن ابو ظهر وهلا صغبيني

قبرص: الجزيرة المقسمة

قبرص، ثالث اكبر جزيرة في البحر المتوسط، تبلغ مساحتها ٩,٢٥١ كيلومتراً مربعاً، عاصمتها واكبر مدنها نيقوسيا منقسمة من ١٩٧٤ عندما احتلت القوات التركية الثلث الشمالي من الجزيرة والذي أعلن بأنه - بدون اعتراف رسمي - جمهورية شمال قبرص التركية.

يبلغ عدد سكان قبرص ٧٥٠ الفاً، ٨٥ في المئة منهم من اصل يوناني و١٢ في المئة من اصل تركي، بينما تضم نسبة الـ ٣ في المئة الباقية ارمن وموارنة وأقليات أخرى. ومنذ دخول القوات التركية في ١٩٧٤، حصلت هجرات جماعية كانت نتيجتها تمركز القبارصة الاتراك في القسم الشمالي الذي يشكل ثلث الجزيرة، والقبارصة اليونانيون في القسم الجنوبي الذي يشكل الثلثين.

ينتمي غالبية القبارصة اليونانيون الى كنيسة ارثوذكسية مستقلة ويتكلمون لغة يونانية اقرب الى اللهجة القديمة من تلك التي يتكلمها اليونانيون اليوم. بينما القبارصة الاتراك مسلمون.

وتشكل الزراعة والسياحة المصدر الرئيسي للرزق لمعظم سكان الجزيرة.

بدأت بذور الخلاف بين القبارصة اليونانيين الذين يشكلون الغالبية، والقبارصة الاتراك قبل استقلال الجزيرة عن بريطانيا في الخمسينيات عندما بدأ الاسقف مكاريوس (١٩١٣-١٩٧٧) بمطالبة السلطات البريطانية والامم المتحدة بضم الجزيرة الى اليونان والسماح باجراء استفتاء عام كخطوة اولى في هذا الاتجاه. لكن بريطانيا والامم المتحدة رفضتا اقتراح مكاريوس لـ «حماية» الاقلية التركية. فنظم مكاريوس مجموعات شبابية، بدعم من الاتحاد السوفياتي، قامت بأعمال عنف، وعمت اعمال الشغب قبرص. فأرسلت بريطانيا قوات إضافية الى الجزيرة لتوطيد الامن ونفت مكاريوس.

في ١٩٥٩ عاد مكاريوس من المنفى وانتخب اول رئيس قبرصي بعد أن أعلن استقلال الجزيرة في ١٩٦٠ وانضمامها الى الكومنولث، وانتخب قبرصي تركي كنائب للرئيس، هو فضيل كجك.

بدأت المواجهات العنيفة بين القبارصة اليونانيين ومواطنيهم الاتراك في ١٩٦٣ عندما اقترح مكاريوس تغييرات دستورية تلغي امتياز الاقلية التركية الذي يخولها ممارسة حق الرفض (الفيتو) في التشريع. وطلب القبارصة الاتراك التقسيم بينما اصر مواطنوهم اليونانيون على ابقاء الجزيرة موحدة مع اعطاء حقوق للأقلية. وهددت كل من تركيا واليونان بالتدخل، ولم تتوقف الحرب الاهلية الشاملة الا بتدخل القوات البريطانية وتعيين وسيط وقوة حفظ سلام من قبل الامم المتحدة.

استمرت المناوشات بين الجانبين واخفقت جهود الامم المتحدة للتوصل الى تسوية بينهما. وعندما دبّ الخلاف بين صفوف القبارصة اليونانيون انفسهم حول ضم الجزيرة الى اليونان قام الحرس الوطني القبرصي في ١٩٧٤ بإقالة مكاريوس ونفيه من الجزيرة.

وتصاعد القتال في آب من العام نفسه وهجر الكثيرون من مناطقهم، فأرسلت تركيا قوات سيطرت على ثلث الجزيرة وعاد مكاريوس الى قبرص وقام من جديد بمهام الرئاسة.

اعلنت الدولة القبرصية التركية شبه المستقلة في ١٣ شباط ١٩٧٥ على ٣٧ في المئة من اراضي الجزيرة، ويفصل بينها وبين القسم اليوناني خط اخضر يحميه اليوم ٣٥ الفاً من القوات التركية (من تركيا نفسها) ومنطقة عازلة تسيطر عليها قوات حفظ سلام من الامم المتحدة تضبط حركة المواطنين.

وعلى الرغم من إجراء مفاوضات بين الجانبين من وقت لآخر تحت رعاية الامم المتحدة الا انها لم تؤدي الى اي حل يقرّب بينهما. وفي ١٩٨٣ قام القبارصة الاتراك بانتخاب رؤوف دنكطاش رئيساً لقبرص التركية الذي اعلنها كياناً مستقلاً وعلق جميع المحادثات مع مواطنيه اليونانيين. ولم تعترف اي دولة بالكيان الجديد سوى تركيا.

اصدرت الامم المتحدة في ١٩٩١ قراراً يحث الجانبين على اقامة كيان فدرالي يضم الدويلتين، لكن في ١٩٩٤ اصدر الاتحاد الاوروبي قراراً يحصر فيه التعامل التجاري مع الحكومة الرسمية في قبرص ويحرّم العلاقات التجارية المباشرة مع الكيان التركي في الجزيرة. فاصدر القبارصة الاتراك قرارين في العام نفسه يقضي احدهما بتنسيق العلاقات الخارجية مع تركيا وينص الآخر على المساواة السياسية مع الشق اليوناني وتكريس الحكم المستقل عنه.

بدأت المفاوضات للإنضمام الى الاتحاد الاوروبي مع قبرص في ١٩٩٥، فعارض القبارصة الاتراك هذا الامر لقيام الاتحاد الاوروبي بالتفاوض مع القبارصة اليونان من جانب واحد. وعلى الرغم من ذلك تم ترشيح قبرص لعضوية الاتحاد الاوروبي عام ١٩٩٨. وما زالت الامم المتحدة تبذل جهوداً لتوحيد الجزيرة بدون تقدم يذكر.

السودان: حرب أهلية لم تنته

يعتبر السودان اكبر دولة عربية افريقية من حيث المساحة التي تبلغ ٢,٥٠٥,٨٠٠ كيلومتراً مربعاً، وعدد سكانها ٣٣,٥٥١,٠٠٠ نسمة يتألفون من غالبية عربية في الشمال وافريقيون سود في الجنوب، ويمتزج فيها العرق العربي بأعراق اخرى مثل البيجا وجمالا والنوبة. ويعمل اكثرهم بالزراعة.

يدين ٧٠ في المئة من السكان بالاسلام، بينما يتبع ٢٥ في المئة ديانات تقليدية والباقون يعتنقون المسيحية ويتركزون في الجنوب.

اعلنت جمهورية السودان رسمياً في الاول من كانون الثاني ١٩٥٦ فاعترفت بها مصر وبريطانيا، وانضمت الى جامعة الدول العربية والامم المتحدة في العام نفسه، وشهدت اول انتخابات برلمانية في ١٩٥٨ عندما فاز حزب الامة بغالبية ملحوظة وشكل حكومة جديدة. لكن قائد القوات المسلحة ابراهيم عبود انقلب على الحكومة وحل البرلمان واعلن حالة الطوارئ في البلاد، واستمر في الحكم حتى عام ١٩٦٤، عندما استقال وحل مكانه مجلس اعلى، لكن التمرد الذي بدأ في الجنوب في عهد عبود ضد ميوله العربية تفاقم وقتئذ واستمرت الحرب الاهلية حتى عام ١٩٧٢ وانتهت بمنح الجنوب حكماً ذاتياً.

ويذكر ان العقيد جعفر النميري استولى على السلطة في ١٩٦٩ وشكل حكومة من مجلس ثوري. استمر النميري في الحكم حتى عام ١٩٨٥ وتميز عهده بمحاولات انقلابية فاشلة وازمات اقتصادية وسياسية كادت تطيح به. وكان النميري اعلن عام ١٩٨٣ تعديل الدستور لينسجم مع الشريعة الاسلامية، مما اثار حفيظة المواطنين في الجنوب، يضاف الى ذلك ازمة اقتصادية حادة وارتفاع في اسعار المواد الغذائية مما ادى الى الاطاحة بالنميري في نيسان ١٩٨٥.

بعد سنة من الحكم العسكري، انتخب الصادق المهدي رئيساً للوزراء بعد ١٨ سنة من توقف الانتخابات الحرة، بينما أجلت عملية الاقتراع في ٣٧ دائرة انتخابية بسبب حرب العصابات التي شنها الجيش الشعبي لتحرير السودان الذي يقوده ضابط سابق في الجيش هو جون غارنغ ضد «الحكومة الاسلامية». وبعد تصاعد العمليات العسكرية لانصار غارنغ واشتداد الازمات الاقتصادية سقطت الحكومة بانقلاب عسكري قاده الفريق عمر حسن البشير الذي اعلن حالة الطوارئ في البلاد.

في اوائل التسعينات تدهور الوضع الى حد كبير بسبب تصاعد القتال ضد المتمردين في الجنوب وقمع المعارضة السياسية، ما ادى الى تهجير ١٠٠ الف سوداني الى اوغندا في ١٩٩٤ بعد هجوم واسع شنته الحكومة ضد المقاتلين في الجنوب. وبعد وساطات عديدة من الهيئات الدولية والرئيس الاميركي السابق جيمي كارتر توصل الجانبان الى هدنة لمدة شهرين للسماح لمنظمات الاغاثة بنجدة النازحين والمشردين والجياع في الجنوب الذي سيطر انصار غارنغ على معظم اجزائه ومدنه المهمة، واصروا على عدم قبول اي حل دون الاستقلال عن السودان.

وفي منتصف ١٩٩٨ جرت محادثات بين الحكومة من جهة وغارنغ وانصاره من جهة اخرى قبلت الحكومة وقتئذ باجراء استفتاء باشراف دولي حول حق تقرير المصير. ولم يحدد موعد للاستفتاء ولم تنجح المحادثات في التوصل الى وقف لاطلاق النار.

ادت هذه الحرب الاهلية والمجاعات التي رافقتها الى وفاة ١,٥ مليون نسمة. ولا شك ان مواسم الجفاف التي ضربت البلاد لعبت دوراً هاماً في هذه الكوارث، يضاف اليها تهجير آلاف المدنيين في المواجهات بين القوات الحكومية والجيش الشعبي لتحرير السودان. وتقدر منظمة «برنامج الغذاء العالمي» ان ١٢٠ شخصاً كانوا يقضون يومياً في تلك الفترة وان ٢,٦ مليون نسمة ما زالوا بحاجة للاغاثة والغذاء.

الصومال: القبليّة مزّقت البلاد

يحتل الصومال موقعاً استراتيجياً على المحيط الهندي وخليج عدن، ولها حدود مشتركة مع اثيوبيا وجيبوتي وكينيا. تبلغ مساحتها ٦٣٧,٧٠٠ كيلومتراً مربعاً. عاصمتها واكبر مدنها مقديشو.

غالبية السكان من الصوماليين، يضاف اليهم اقلية تتكلم لغة البانتو تسكن جنوب البلاد، وأقليات اخرى من العرب والباكستانيين والهنود والايطاليين، يعيش ٧٠ في المئة منهم على طريقة البدو الرحل، بينما يعتاش الباقون من الزراعة والخدمات في المناطق السكنية والمدن المتحضرة.

دين الدولة الرسمي الاسلامي السني واللغة الرسمية هي الصومالية، كما تستعمل اللغات العربية والانكليزية والايطالية.

نالت الصومال استقلالها عن بريطانيا في ١٩٦٠ وحكمها رئيسا جمهورية حتى عام ١٩٦٩ عندما استولى على الحكم اللواء محمد سياد بري مع مجموعة من العسكريين واعلنها دولة اشتراكية وأمم معظم مرافق الدولة.

بدأت عوامل عدم الاستقرار تظهر في الصومال منتصف ١٩٧٧ عندما شن الصوماليون في اقليم اوغادين التابع لإثيوبيا المجاورة حرباً ضد السلطات في اديس ابابا للإنضمام الى الصومال.

وقدمت مقديشو لهم المساعدة وقتئذٍ بالاسلحة والرجال وكانت النتيجة ان سيطرت الصومال على معظم اقليم اوغادين اواخر ١٩٧٧. لكن اثيوبيا عادت واسترجعت الاقليم اواخر ١٩٧٨ بمساعدة الاتحاد السوفياتي وكوبا مما تسبب في تدفق اللاجئين على مقديشو حيث بلغ عددهم عام ١٩٨١ مليونا نسمة.

بدأت المعارضة القوية ضد سياد بري تتفاقم في ١٩٨١ عندما عين اعضاء من قبيلتة في الحكومة واستبعد آخرين من القبائل الاخرى التي اصطدمت بدورها مع قواته وبلغت المواجهات اشدها عام ١٩٨٢ واستمرت حتى ١٩٨٨ باتفاق سلام. لكن الحرب الاهلية تجددت ثانية ولم يبق تحت سيطرة سياد بري سوى العاصمة وبربرة واجزاء من هارغايسا. وفي عام ١٩٩٠ شكلت القوى المعارضة جبهة موحدة ضد سياد بري اجبرته في العام التالي على مغادرة البلاد حيث طلب اللجوء السياسي في نيجيريا التي عاش فيها حتى ١٩٩٥ عندما توفي اثر نوبة قلبية.

على الرغم من ان القبائل نجحت في تنسيق جهودها ضد سياد بري لم يكن من السهل عليها تشكيل ائتلاف حكومي، اذ ان الـ ٢٣ شهراً التي تبعت طرده من البلاد كانت، ربما الاكثر دموية اذ سقط ٥٠ الف قتيل في مواجهات حزبية وقبلية وقضى ٣٠٠ الف جوعاً لصعوبة وصول المؤنة في بلاد مزقتها الحرب. وفي كانون الاول ١٩٩٢ تمركزت القوات الاميركية قرب مقديشو كطلائع لقوات الامم المتحدة لحفظ السلام وإعادة الهدوء الى البلاد.

وعملت الوكالات الدولية على توزيع الغذاء والدواء. لكن اعمال الاغاثة توقفت بسبب اندلاع المواجهات من جديد في ١٩٩٣، وتورط القوة الدولية في محاولة اعادة تشكيل حكومة، وراحت تطارد زعماء الفرق المسلحة وابرزهم محمد فرح عيديد الذي رأت فيه الخطر الاكبر على اي حكومة انتقالية. واصبحت المواجهات بين قوات الامم المتحدة والقوات الصومالية وقدر عدد القتلى بينها بألف، بينما سقط ٣٠ قتيلاً و١٧٥ جريحاً من القوات الاميركية التي اضطرت الى الانسحاب في شباط ١٩٩٤.

عندما غرقت الصومال في الفوضى عام ١٩٩١ اعلن الاقليم الشمالي استقلاله وانشاء دستوره الخاص وعملته الخاصة. لكن الامم المتحدة لم تعترف به، يضاف الى ذلك الهجمات التي شنها الفرقاء الآخرون على هذه الجمهورية التي تعاني هي نفسها من الركود والمشاكل الاقتصادية والنزاعات الداخلية. وفي عام ١٩٩٥ اعلن عيديد نفسه رئيساً للصومال وتمكنت قواته من السيطرة على اجزاء من مقديشو ومواقع استراتيجية اخرى. لكن عيديد قتل في معركة ١٩٩٦ فخلفه ابنه حسين محمد عيديد الذي أعلن وقفاً لإطلاق النار وعقد مؤتمراً لزعماء الفرق المتناحرة على أمل التوصل الى ائتلاف حكومي. لكن المعارك اندلعت من جديد واستمرت حتى عام ١٩٩٧ حيث قتل المئات وتضررت المحاصيل الزراعية. وفي اواخر هذا العام التقى زعماء القبائل في القاهرة واتفقوا على خطة لتشكيل ائتلاف حكومي يضم الفرقاء كافة. لكن الخطة تأجل تنفيذها عدة مرات، وما زالت المواجهات العشائرية والمناوشات مستمرة من حين لآخر.

كشمير: نصف قرن من الصراع

تقع كشمير في شمال شبه الجزيرة الهندية، وتحدها افغانستان والصين من الشمال والشرق والبنجاب من الجنوب، والباكستان من الشمال والغرب، وتبلغ مساحتها ٢٢٢,٢٣٦ كيلومتر مربع، ويعيش فيها ١٢ مليون نسمة، ٧٠ في المئة منهم مسلمون.

يطالب كل من الهند والباكستان بهذه المنطقة التي قسمت في ١٩٤٧، وتسيطر عليها الهند التي جعلتها ولايتين: جامو وكشمير، عاصمتها سرينغار، بينما تحكم الباكستان الجزء الشمالي وتطلق عليه ازاد كشمير (كشمير الحرة) وعاصمته مظفر آباد. كما تسيطر الصين على مساحة ٤٣ الف كيلومتر مربع من هذه المنطقة ايضاً.

بعد التقسيم في ١٩٤٧ طالبت المنطقة، التي تتمتع بغالبية مسلمة، الانضمام الى الباكستان، لكن حاكم المنطقة الهندوسي، قاوم تحرك الكشميريين بشدة، فاجتاحت الباكستان المنطقة، ما حدا بالحاكم الى توقيع تنازل عن حكم المنطقة للهند، فأرسلت الهند قواتها الى كشمير واجبرت القوات الباكستانية على التراجع، ثم تمّ التوصل الى وقف لإطلاق النار بوساطة من الأمم المتحدة في ١٩٤٩. لكن النزاع الحدودي تجدد في ١٩٦٥ و ١٩٧١، ثم بلغت الحركة الانفصالية اشدها عام ١٩٨٩ فزادت الهند، عدد قواتها في المنطقة، وتصاعدت الاشتباكات اوائل التسعينيات. ويرابط اليوم في هذه المنطقة ٧٠٠ الف جندي هندي للسيطرة عليها.

ويذكر ان المرارة بين الجانبين ازدادت لتدخل الهند في صراع الباكستان ضد الانفصاليين البنغاليين واعلان استقلال بنغلادش عنها بعد حرب عام ١٩٧١، قضى فيها مليون نسمة وانتهت بخسارة الباكستان.

في عام ١٩٩٦، أصرت الهند على اجراء انتخابات في جامو وكشمير بعد توقف بدأ في ١٩٨٩. لكن الانفصاليين قاطعوا الانتخابات واطلقوا قنابل وصواريخ على مقربة من مراكز الاقتراع. بيد ان القوات الهندية اجبرت السكان على الاقتراع بالقوة ففاز في الانتخابات انصار الهند. وقد وقع رؤساء البلاد في العام نفسه اتفاقيات على تخفيض عدد القوات وفتح الحدود بينهما. لكن المعارك الحدودية استمرت في التسعينيات وذهب ضحيتها ٣٠ الف قتيل.

وتجدر الاشارة الى ان الهند والباكستان انخرطا في سباق تسلح نووي منذ اواخر الستينيات. وكانت الهند سباقة في اعلانها التجربة النووية الأولى عام ١٩٧٤. فاتجهت الباكستان الى الصين لمساعدتها في السباق وحصلت منها في ١٩٨٣ على برنامج نووي، وفي ١٩٨٧ اعلن العالم الباكستاني عبد القادر خان ان بلاده طورت قنبلة نووية من دون اجراء تجربة ملموسة.

وفي ايار ١٩٩٨ اذهلت الهند العالم بإجراء سلسلة من التفجيرات النووية، فتبعتها الباكستان بتجارب خاصة بها، ما اثار استنكارا دوليا واستدعى فرض عقوبات من دول عدة في مقدمتها الولايات المتحدة.

وأدى الضغط الدولي على البلدين والضحايا التي سقطت نتيجة للصراع بين الهندوس والباكستانيين المسلمين في كشمير الى التقاء الجانبين اواخر عام ١٩٩٨ للبحث في قضايا السلام والأمن بينهما. لكن الجانبين لم يتوصلا الى اتفاق، واستمرت المفاوضات مع المسؤولين الأميركيين من اجل توقيع معاهدة حظر التجارب النووية. وفي كانون الأول من العام نفسه اعلن الرئيس بيل كلينتون تخفيض العقوبات ضد البلدين ليمهد الطريق امام قروض وتوظيفات اميركية.

لكن المساعي لم تفلح في انهاء النزاع، فتجدد القتال في ١٩٩٩، وفي ايار من العام نفسه شنت الهند غارات جوية على الانفصاليين المسلمين في كشمير، وقالت ان الباكستان ساعدت المئات منهم على العبور الى كشمير الهندية، فردت عليها الباكستان في اليوم التالي واسقطت مقاتلتين هنديتين.

وقد ناقش الرئيس كلينتون في جولته الآسيوية الأخيرة مجمل هذه القضايا العالقة بين البلدين وحثهما على توقيع معاهدة حظر التجارب النووية.

الباسك: صراع الهوية والوطن

يقع اقليم الباسك شمال اسبانيا وتبلغ مساحته ٧٢٦١ كيلومتراً مربعاً وتحده من الشمال فرنسا. ويمتد الاقليم على رقعة من السهول تتخللها سلسلة جبال متوسطة الارتفاع.

يقطن الاقليم، وعاصمته فيكتوريا، ٢١٠٤٠٤١ شخصاً وفق احدث احصاء سكاني. ويتحدر ما يزيد عن نصف سكان الاقليم من اتنية الباسك. ويتكلم نحو ٢٥ في المئة من السكان لغة الباسك المعروفة محلياً بـ«اوسكارا». ومعظم سكان الباسك من الروم الكاثوليك ويشكل الرقص والغناء طقساً اساسياً في احتفالاتهم الدينية.

على الرغم من صغر مساحته، فإن اقليم الباسك يلعب دوراً بارزاً في الاقتصاد الاسباني وتحديدا في قطاع الصناعة. وتتركز في فيكتوريا مصانع السيارات، الامر الذي يجعلها اكبر مركز لتجمع العمال الصناعيين في اسبانيا. ويشتهر الباسك كذلك بصناعة الاحذية والصيد.

يعود الاضطراب السياسي في هذا الاقليم وتذبذب علاقته بالسلطة المركزية في مدريد الى ايام الحرب الاهلية الاسبانية بين عامي ١٩٣٦ و١٩٣٩. ففي هذه الفترة اعلن قوميو الباسك حكماً ذاتياً الا ان الجنرال فرانسيسكو فرانكو ما لبث ان شن حملة لفرض سلطته على الاقليم ودمرت قواته بمساعدة القوات الالمانية المدن الرئيسية في الباسك.

وانتهت الحرب الاهلية بانتصار فرانكو ووقوع اسبانيا في قبضة نظامه. ودفع سكان الباسك ثمن تطلعهم الى اقامة دولة خاصة بهم، فحظر فرانكو عليهم التكلم بلغتهم وطمس معالم حضارتهم.

وفي العام ١٩٥٩ برز الى العلن نشاط حركة «ايتا». واعتمدت الحركة خطاباً قومياً متطرفاً، اذ دعت الى الانفصال عن اسبانيا واقامة دولة مستقلة لإتنية الباسك تضم الاقليم الى مناطق من فرنسا. وتُرجم الخطاب السياسي لـ«ايتا» الى اعمال عنف وتفجيرات.

وفي العام ١٩٧٥ توفي فرانكو وعادت الملكية الى اسبانيا وتولى خوان كارلوس العرش وعادت الاصلاحات الديموقراطية الى الساحة السياسية الاسبانية.

وأعلن دستور جديد العام ١٩٧٨ وتضمن منح الاقاليم المزيد من الحكم الذاتي، وحصل الباسك على اعتراف بلغته وهويته. الا ان هذا لم يكن كافياً لوقف «ايتا».

ومع الايام ازداد نشاط الحركة عنفاً. وفي تموز ١٩٩٧ اختطفت «ايتا» ميغال انخيل بلانكو، وهو سياسي شاب ينتمي الى الحزب الحاكم، مطالبة بإطلاق جميع السجناء السياسيين الباسك من السجون الاسبانية. ولما رفضت مدريد الاستجابة لهذا المطلب، قتل عناصر «ايتا» بلانكو، الامر الذي دفع ملايين الاسبان الى النزول الى الشوارع والتظاهر ضد «ايتا».

اعلنت «ايتا» اكثر من مرة هدنة من جانب واحد، الا ان هذه الهدنة كانت لا تعمر طويلا وتسقط بين دوي التفجير واشلاء الضحايا.

لا يزال النزاع في الباسك عامل توتر وعدم استقرار في اسبانيا، وهو من البؤر القليلة المتوترة في اوروبا. وتبقى مطالب «ايتا» حاضرة بقوة في وجدان سكان الباسك، وان كان قسماً متزايداً منهم يعارض استمرار اللجوء الى العنف، خصوصاً وان نظام خوان كارلوس الديموقراطي يختلف عن نظام فرانكو القمعي.

كوريا: إرث الحرب العالمية الثانية

تمتد شبه الجزيرة الكورية على مساحة ٢٢٠٢٧٧ كيلومترا مربعاً، وتملك حدوداً مع الصين وروسيا. تتكون شبه الجزيرة من ارض جبلية بمعظمها وتحضن تربتها ثروات معدنية كبيرة يتركز ٨٠ الى ٩٠ في المئة منها في الشطر الشمالي. كما تعتبر المياه الكورية من بين الاصلح في العالم للصيد.

عرفت شبه الجزيرة منذ القدم تاريخاً غير مستقر. وفي العام ٢٣٣٣ قبل الميلاد تأسست كوريا ككيان سياسي، وكانت مملكة كوغوريو من اوائل الدول التي اقيمت في شبه الجزيرة. وخلفتها مملكة سيلا التي حكمت من العام ٣٥٠ م الى القرن السابع. اما سلالة كوريو فكانت اول من حكم كوريا موحدة وبقيت في السلطة حتى الغزو المنغولي في القرن الـ١٣. وفي ظل هذا الحكم اقامت سلالة يي عاصمتها هانيانغ، المدينة التي تقوم على انقاضها اليوم سيول، وكرست الكونفوشيوسية نفسها عقيدة راسخة رسمياً وشعبياً.

وفي التاريخ الحديث خضعت شبه الجزيرة الكورية لسلطة اليابان خلال الحروب اليابانية مع الصين وروسيا، وفي العام ١٩١٠ ضمت طوكيو رسمياً شبه الجزيرة الكورية وبقي الوضع على هذه الحال حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية.

وتركت هذه الحرب آثارها على وجه كوريا واحدثت ندوباً لا تزال حاضرة الى اليوم. ففي العاشر من آب ١٩٤٥، قررت الولايات المتحدة تقسيم شبه الجزيرة واحتلال الشطر الجنوبي من كوريا، وذلك خوفاً من قيام الاتحاد السوفياتي، الذي شارك في معركة طرد اليابانيين من شمال شبه الجزيرة، باحتلال كامل كوريا. واقر المخططون الاميركيون تقسيم كوريا الى شطرين عند خط العرض ٣٨ بهدف ابقاء العاصمة الكورية سيول في الشطر الجنوبي الخاضع للسيطرة الاميركية.

وشرعت الولايات المتحدة من جهة والاتحاد السوفياتي من جهة اخرى في اقامة انظمة حليفة في الشطرين. وخلال الاحتلال الاميركي للجنوب الذي استمر حتى العام ١٩٤٨، عملت واشنطن على قمع الحركات الثورية اليسارية التي كانت تحظى بتأييد قادة الشمال، وفي طليعتهم كيم ايل سونغ (٣٣ عاماً في حينه) والذي كان مقاتلا شرساً شارك في المقاومة ضد القوات اليابانية.

ولم يصبح تقسيم كوريا رسميا الا في العام ١٩٤٨. وهكذا ولدت جمهورية كوريا، المعروفة بكوريا الجنوبية، محتفظة بسيول عاصمة لها، وامتدت سيطرتها على ١٢٠٥٤٠ كيلومتراً مربعاً، وهي تضم حالياً ٤٥ مليون نسمة يعتنقون البوذية والكونفوشيوسية فيما تدين قلة بالمسيحية. وفي المقابل احتلت الجمهورية الشعبية الديموقراطية الكورية، وعاصمتها بيونغ يانغ، ٥٥ في المئة من اراضي شبه الجزيرة الكورية.

وقام الاتحاد السوفياتي بسحب قواته العام ١٩٤٨ فيما بقي الاميركيون في كوريا الجنوبية حتى العام التالي للتأكد من زوال خطر قيام الشمال باحتلال الجنوب.

وفي ايار ١٩٤٩ اندلعت مناوشات حدودية بين الكوريتين، الا ان المواجهات لم تخرج عن اطار السيطرة لأن الاتحاد السوفياتي كان يخشى من ان يؤثر قيام القوات الشمالية باجتياح الجنوب سلبا على العلاقات المتوترة بالاصل مع الولايات المتحدة. وما لبث الزعيم السوفياتي جوزيف ستالين ان تخلى العام التالي عن مخاوفه هذه. وفي فجر ٢٥ حزيران ١٩٥٠ بدأ القتال الذي ادى الى اندلاع الحرب الكورية، بعد خمسة اعوام على تقسيم شبه الجزيرة.

وانهارت المقاومة الكورية الجنوبية سريعاً، الامر الذي دفع الولايات المتحدة الى التدخل. ووصل الاسطول الاميركي الى مضيق تايوان، وذلك بهدف ضبط الوضع والحؤول دون قيام بكين باستغلال الحرب الكورية لغزو تايبه. وتمكنت القوات الكورية الشمالية من التغلب على الاميركيين، وارتفعت معنويات المقاتلين في الشطر الشمالي الذين استخدموا خبراتهم القتالية لدحر «الامبريالي الغربي».

وفي هذه المرحلة لجأت الولايات المتحدة الى بطلها في الحرب العالمية الثانية، الجنرال دوغلاس ماك آرثر. وتمكنت القوات الاميركية بأمرته من الوصول الى سيول وتحريرها. وكان يمكن للحرب الكورية ان تنتهي عند هذا الحد، الا ان ماك آرثر وجه قواته الى كوريا الشمالية. الا ان القوات الكورية الشمالية بمساعدة الجيش الصيني تصدت للزحف الاميركي فردت الولايات المتحدة بالتهديد باستخدام الترسانة النووية. فخشي ستالين ان تندلع حرب عالمية ثالثة فيما رفضت بكين التراجع عن دورها في الحرب.

وبقيت الحرب بين كر وفر حتى العام ١٩٥٣. وفي ٢٧ تموز من العام نفسه، وقع مندوبو الولايات المتحدة وكوريا الشمالية والصين اتفاق هدنة فيما تغيبت كوريا الجنوبية عن التوقيع.

تعتبرالحرب الكورية من بين الاكثر دموية في القرن العشرين. وتقدر حصيلة قتلاها بنحو اربعة ملايين شخص، ثلثاهم من المدنيين. وخسرت الصين مليون مقاتل وتوفي ٣٦٩٣٤ مقاتل اميركي، وألحقت اضراراً فادحة باقتصاد كوريا الشمالية وزادت الولايات المتحدة بعد هذه الحرب انفاقها الدفاعي واعتمدت سياسة اقامة قواعد عسكرية في الخارج.

وبقي التوتر سيد الموقف بين الكوريتين اللتين اتفقتا العام ١٩٧٢ على العمل في اتجاه تحقيق المصالحة، الا ان هذا التعهد لم يصمد اكثر من عام. وانخرط البلدان العام ١٩٩٧ في مفاوضات جادة كانت الاولى من نوعها منذ اربعة عقود. واقترب الطرفان هذا الشهر من تحقيق اختراق اذ اعلن عن قمة بين رئيسي البلدين بهدف «التعجيل بالمصالحة والوحدة الوطنية»، وسط ترحيب الاطراف التي كانت ولا تزال معنية بالحرب الكورية، اي الولايات المتحدة والصين واليابان وروسيا، وريثة الاتحاد السوفياتي.